



السنة السابعة والاربعون

تبريز - آب ١٩٥٣
ايلول - ت ١

الروم الملكيون في الاسلام

مقتل البطريرك الانطاكي الملكي الشهيد خريستوفوروس

سنة ٣٥٦ للهجرة - ٩٦٧ للميلاد

حدا له لمكانته لدى الامير سيف الدولة علي بن حمدان (تابع)

ويليه

قسم من اخبار جثالة الروم الملكيين في العراق وبلاد فارس

ترجم لأول مرة حبيب زيات عن نسخة ينية من القرن العاشر

موجز نسخة الاصل

قال البرطسبيار ما معناه بافظه بوجه التقريب وبعض الاختصار. وهو مثال

من انشاء الروم الملكيين المستعربين في القرن العاشر :

« كان البطريرك العظيم والمكرم الشهيد من مدينة السلام بغداد التي

اعتاضها ولد حاجر (العرب) عن مدينة اكنيسفون (المدائن) مدينة ملكهم في الاول واراض علومهم واما والداه فلست اعرف صورتها كيف كانت غير انها على كل حال كانا كبيرين جليين . واما مدة تربيته فكانت يسيرة في مدينته بمقدار ما احتاج اليه في التأديب باوائل الطوم حتى احكم ما امكن من بلاغة القول واحكم اكثر من ذلك صناعة الكتابة باليد . لانه كان اذا كتب لا يدري احد كيف يميز الافضل من حال خطه في الحسن ام في السرعة . ومن العناية الالهية التي عنيت بكرسي رأس السليحين عندنا لم يتيسر له المقام في وطنه طويلاً فانتقل من بلد الكلدانيين الى بلد السريانيين . ولست اعني بلد الكنعانيين الذي هو في هذا الوقت بلد فلسطين بل اعني به البلد القريب منا النازح قليلاً عنا وهو بلد حلب وذلك ان ابن حمدان الملقب بسيد الدولة كان ذكره كبيراً وحاله في ذلك الوقت في هذا الصقع كبيرة . وكانت آثاره جليلة وكان يعين كل من كانت له فضيلة من الناس لما فيه من الكرم وكبر الهمة وكان يحبه الناس من سائر الاقطار فذلك قصده الذي تشبه بالاب القديم في النقلة (ابراهيم) وكان اسمه في الاول عيسى الا انه تسمى في ما بعد بزبطوفورس فله علي بن حمدان (سيف الدولة) الى امير كبير من امراء البادية بسى خايفة بن جندي كانت امارته بناحية شذر . ولم يكن عند الانطاكيين في الاول معروفاً واكتبه عرف بعد ذلك مما نحن به ذاكره .

وكانت اكنيسفون التي ذكرناها كبيرة وعظيمة . لانها كانت تحملاً وحداً لمملكة الفرس وكان فيها جماعة من النصارى ولهم رابع مطران ولم يكن في رتبة المطرنة كفاية لرعاية جمع مثل هذا كبير في سائر بلاد فارس وردد امورهم الى اساقفة وخدمهم يكاد ان يكونوا قليين . بل كانت الحاجة داعية الى اساقفة كثيرين ما كان يمكن مطران واحد ان يسيهم ويشرفهم فدعت الحاجة الضرورية الى كون مطارنة كثيرين . وكانت تلك الديار شاسعة هيدة عن انطاكية المماة باسم الله (Théoupolis) وكان في ذلك الموضع من بلاد الفرس يتبع المصير في اكثر الاوقات الى انطاكية لاصلاح مطران لكل موضع . فتقدم لهذه الحال من القداما . سياسة اخرى جرى مثلها في امم مختلفة واماكن بعيدة مثل بلد الخزران والايجاز والبقمران يسام انسان يكون سلطانه اكبر

من سلطان المطران يسمى جاثليقا فاتبع قدها زنا هذه العادة . وشرطن المتقم على مدينتنا جاثليقا على مدينة اكيثفون . فلما بنى بنو هاجر مدينة السلام بغداد رأوا ان ينفرو النصارى من القرب منها فثقلوهم الى بلد ريميد من بلاد فارس يدعى شاش . ونفرو اليه الجاثليق مع من نفوه من اصحابه وسميت ذلك المشيرة المنتقلة جماعة الروم (رومجورد) وصار مقام الجاثليق في شاش مدة من الزمان . ولم يكن احد يناظر على ذلك ولا ينازع فيه . فلما ابتداء جمع من اسرى الروم وتبهم جماعة بدأت خبيثة المنازعة بين الفريقين فقال الجمع المجتمع في بغداد من النصارى : الجاثليق انا ونحن اولى به لان مقامه كان في اكيثفون وهي بصقنا وجوارنا وبالقرب منا . وقال من كان في شاش اننا نحن اهل ذلك الموضع والمستقلون من هناك الى هنا بجاثليق المشرق وحسبنا ان الانان اكرم ممن كل ما في الارض فكذلك نحن يجب ان يكون الجاثليق لنا . وقد انتقل معنا فلنا التقدم ويجب لنا اكثر من وجوبه لكم لانكم تطالبون ان يكون لكم التقدم من الحجارة والتراب . وبينما كانت المشاجرة في ما بين الفتين على هذه الحال اتفق ان توفي الجاثليق الذي كان في ذلك الوقت واحتج بعه الى انان آخر يتهم خدمة الكهنوت ووفد الى مدينة انطاكية من رومجورد " ثلاثة رسل طالبين شيروطية جاثليق احداهم قيس والاثنان ثمانان

(١) هذا الاسم كما يدل عليه لفظه مركب من كلمتين « روم » وهم الملكيون المعروفون في كل انحاء الشرق « وجرّد » بالخيم المكسورة . وهي لفظة نازية . ذكر ياقوت ان اصلها بالكاف . قال في تربيته داريجرد كورة بفارس : دراب اسم رجل . وكرد معناه « عمل » فترّب بنقل الكف الى الخيم (معجم البلدان ٥٦٠ : ٢) فيكون معنى رومجورد « عمل الروم » اي . شام وخراسان . وقد نبه البشاري المندسي على ان اكثر بلدان الاناجم موضوعة على اسم من انشأها وبنائها : احسن التقاسيم ٢٥٩) وفي اسما القرى والكور في خراسان عدد غير قليل من الاعلام التي كسبت بها كلمة جرد مثل بروجورد . وخرروجرّد . ودرستجورد . ومهرجورد . وواشجورد اى آخر ما هنالك . انحصنا منها نحواً من ٢٥ علماً . وربما دخل الشطر الثاني من هذه المسبات في تعيين الحصون كحصن سوانجورد . وفي بعض قرى بغداد كسوستجورد . او في بلدان ارمينية كسنازجورد واهل يقولون سنازكرد بالكاف لك مشهور بين خلطاء وبلاد الروم يمدّ في ارمينية واهل ارسن وروم (معجم البلدان ٦٤٤ : ٤)

وليس لدينا اقل تعريف لموقع رومجورد في كورة الشاش . فلا نندي هل كان البلد اسم

وأنا القائل والمصنف رأيهم وأنا صبي مقين في كنيستنا يقولون انهم ان يوردوا
الا بعد ان يسمع منهم ويؤهلوا لأخذ جاتليق لانهم قدموا في طلبه من اقصى
الأرض .

وكان عيسى المقدم ذكره قد سمع بقدمهم ولم يحسن عنده موقع ما وردوا
فيه لانه كان بندا دياً واحد المقاومين في باب الجاتليق والمتقدم في ذلك وفي
التحذير من إتمام ما وردوا فيه فما تراخى ولا ضجع في ترك ما هو عليه من
الخدمة وتجشم عنا . المجي . الى انطاكية ليدفهم عما وردوا فيه ولم يكن احد
سامه ذلك بل نهض اليه هو من ذات نفسه غيرة لوطنه .

وكان في ذلك الوقت المتولي لسياسة بلدتنا المنسوبة الى افة اغايوس بن
القمبرون المتبجح الذي كان يدير البطيركية قبله . فجرت المناظرة والمشاجرة
قدانه في نصب الجاتليق . وكان عيسى شديد المنازعة عن اهل بلده يتبجح
بمحببتهم طلباً للظفر واجتذاب الجاتليق الى مدينتهم مدينة السلام العوض عن
اكتيسفون . وكان البطيريك غير مؤثر لما يطلبه عيسى ولكنه احتشه وغلب
الامر فاقتنع بذلك عيسى وانصرف الا انه بان للانطاكيين انه رجل كبير
جلد وان له غيرة شديدة في امور الكنيسة .

ولم يكن الأهنية من الزمان وتوفي البطيريك . وصار اهتمام الانطاكيين
باختيار بطيريك راع بعده لان الاختيار لم يكن هنا لمطارنة واساقفة لا يبتسون
بشي . غير ما يصلح حال نفوسهم واما ما يصلح احوال الكافة فلا يبتسون به
حسباً جرت به العادة في غير هذا الموضع . بل كان الاختيار ههنا لمن يؤمله
هذا الامر والاهتمام به واختياره في العامة والحفاصة متساوياً . فلما اهتم
الانطاكيون بهذا الباب افاض جمهم في اختيار واحد بعد آخر فلم يجدوا
ارفق لهم واصلح لكرسيهم من عيسى فلما وقع اختيار جماعتهم عليه طلبوه من
سيف الدولة لانه هو كان المستولي على هذه الديار فحسن موقع ذلك منه لانه

حي من احياء قصة بشكك ام كان داخلا في مدينة اخرى من مدن الشاش . وقد بقي
لنا اسم قرية من قرى الشاش يقال لما تنكرة تعرف بقرية النصارى (سجهم ياقوت ٣: ٢٢٤) .
ذكرها في وصفه الشاش ولكنه اهل سردها في غلبها من الدجم . ولا شك ان اشتهارها
بقرية النصارى دليل بين على وجود الروم فيها

كان الى عيسى مائلاً و به محتصاً الا انه لم يكن له طريق الى اجابته في اختياره لموضع توقيه قبة الاعرابي الذي كان يخدمه لما كان فيه من القلظ والشجاعة والاقدام ولم يشك في دفعه عن عيسى اذ كان كاتبه في ذاك الوقت . وكان من توفيت الله وما اراده تبارك اسمه من حصول مثله بطريقاً ان سار ذلك البدوي القرمطي مع سيف الدولة في بعض القزوات فرمته الفرس على جسر صارخة^(١) وغرق في نهر ألوس^(٢) . فاطلق حينئذ سيف الدولة اختيار عيسى . فاستعلى حينئذ المختار سريعاً على كرسي رئيس السليجين العالي المكرم من الله واخذ الشيطونية من المطارنة بحسب الواجب فكانت شيطونيته بيبة ولانقة وتسمى خريستوفوروس .

وانه وان كان لم يصبر راجياً فقد زاد على الرهبان في ما كان يستعمله وذلك انه من شيطونيته ما طعم شيئاً من اللحوم . وما اقتنع بتا جرت ساقفة الرهبان عليه في حوم او سهر او قيام . بل زاد عليهم في هذه المعاني كلها وعنى . وكان صومه في كل يوم من الليل الى الليل ومن اول السنة الى آخرها بالسوا . لانه منذ تطلمك ما تناول شيئاً من الاغذية في يوم من الايام الا في وقت المساء . ولا كان له ما يرضاه من الطعام بل كان لا فرق عنده في ما يستطعمه وكانت مائدة كيف ما اتفق لا يحضرها في كثير من الاوقات لا بيض ولا سمك ولا ما يفتن فيه . وكان شرابه يسيراً من الخمر مع كثير من الماء . واما قيامه في الصلاة فكان في الايام المحلولة من وقت كبير من الليل قبل الفجر بكثير وفي ايام الآحاد من مساء دخول ليلة الاحد الى الصباح . واما قيامه فكان كثيراً لا ينتهي عنه طويلاً حتى رأته انا عدة دفعات من شدة الوقوف يكاد ان يسقط الى الارض . وذكرونا من هذا المعنى يسيراً لندنا به على خشونة السيرة التي استعملها ولم تتقدم له بها تجربة .

(١) صارخة بالصاد والماء . بلدة غزاها سيف الدولة في سنة ٣٣٩ ببلاد الروم وذكرونا المتني بشره فقال :

فوز له المرحج صنوية بصارخة لسه المئابير شهودا بما انجع

(معجم البلدان ٣ : ٢٢٠)

(٢) ألوس اسم رجل سبت بالبلدة على الفرات . . قرب عاقبات والحديثة .

(معجم البلدان ١ : ٢٥٢)

ولما دعت الحاجة الى شرطونية اساقفة على الكراسي القدرغة فالكراسي التي اهتم بها في الاول لم يتم بنا ليس فيه منازعة ولا بكرسي آخر لم تتقدم له فيه مدافعة . بل بالكرسيين اللذين كان يناضل عن احدهم، ويقاوم الآخر . وذلك انه جمل جاثليقين احدهما على مدينة السلام وطنه وكنت من اهل حلب واسمه ماجد والآخر من اهل انطاكية واسمه اوتيكيوس على رومجورد التي كان كان يقاومها فن هو الذي لم يحمد من الناس على هذه السياسة اللطيفة السديدة المؤدية الى السلم والاتفاق . لانه ما ظلم مدينته واحسن النظر لغيرها ولم يضيع بعد هذا في امر الكراسي الأخر التي كانت فارغة . ولما نظر في بابها لم ينظر لرشوة ام شفاعة ام رضى رئيس ام فرق من مقتدر عبوس بل كان اذا رأى وفد المدينة التي تطلب اسماً قد ذكروا له المستحق للشرطونية وهو مرضى لله وله يضع يده عليه للوقت ويتنسه . وان لم يرض به يجتار غيره ممن يرضى اولئك به ايضاً ويضع يده عليه برأي السينودس .

ولاجل ذلك كان المطارنة الذين قبله اذا رأوا حصافة عقله وقوة عزيمته وانه لا يداخله محاباة ولا يرغب في عطاء ولا رشوة لا يخالفونه في شيء مما يرمي اليه .

واما قوة عزيمته وكبر قلبه وغيرته في ما يحتمل البيعة ويعدل شأنها فانه كان يقاوم عن ذلك ولا يتحرك ولا يرتدع . ولا بأس ان نذكر ههنا خبراً يدنا على ذلك جملة . وهو انه كان قسيس متطلب قد عرض له هفوة من الهفوات الضخمة فعمده الاب المطوب ومنعه مدة ما من استمال انكهنوت وكان ذلك القس ينتم انساناً من امرا . بني حمدان عاقباً عسوقاً لا يطبع في كثير من الاشياء . ولا لابن حمدان . فاستشفع به الى البطريرك في اطلانه وحله من الرباط فما تأخر عن الشفاعة في نصراني ذمي . وارسل البطريرك بانسباط قائلًا : مهيا كان من خطا جرى من طيبي القسيس هب لي ايا البطريرك ذنبه واصفح عنه . فاجابه قائلًا : ليس يمكنني ذلك يا سيدي الامير فاعاد عليه قائلًا في الجواب : يا أقات اما تبايني بل تجسر ان تقول لي ما يمكنني ذلك . وماذا الذي لا يمكنك اذا امرتك انا به . فاعاد عليه قائلًا : الحوادث من هذه الاشياء كثيرة مما لا يمكنني ايا الامير اذ كانت مخصوصة بديني ومذهبي

وناموسي لاننا نحن في طوعكم وفي اشياء اخرى لا يمكننا ان نحالفكم . واما ما حظره الدين فنحن به مستعدون للسجن وقواطع السيوف . فاعاد عليه الامير : عرفني على كل حال ما هذه الجناية التي قد تمس دينك فقال تلميذ المسيح : اما قبل هذا ايها الامير فقد كانت الجناية صغيرة وإقالتها متيسرة فاما الآن فانها كبيرة والصنع عنها لا يرام لاني استنصح منه (الشفع بك) وانت مسلم تحالف لنا في مذهبنا اذ كان الاسرى يخص كنيستنا فاجابه الهاجري قائلاً : فكيف من الآن مدججاً بالسلاح واعلم علماً يقيناً انك ستسوت وذلك اني آخذ رأسك ولو كان في حضن الامير الكبير . فاذا الذي صنعه البطريرك هل جزع . هل لان . هل انتهي . هل ترقف لمراسلة يرسل بها ابن حمدان . لا البتة بل تصور ذلك كله بصورة الهباء المنثور . ولم يكن له عنده قدر بل توجه للوقت الى انطاكية وكان اذ ذاك يحاب ووثق في ذلك بالله الذي كان عنه يناضل فما اخطأ بجد الله غرضه فهذه كانت صورته في غيرته وحرصه على ما يجتهد البيعة ويزينها . واذ كان مذهب هذا الرجل الفاضل في هذا المعنى على ما شرحناه فكذلك كانت صورته في غير هذا الباب صورة من لا ينتهي ولا يلين . ولكن في الحد الآخر من كان يتكبرون اشد تحتاً من خريستوفوروس او ألين عطفاً للشكويين او اشد رحمة للحتاجين او اوفر عطاء . للمافرين ؟ على انه لم يكن المال عنده وافراً وكان الارتفاع (اللبخل) الذي يرتفع اليه ناقصاً ولكنه في ما كان يمكنه ما كان عظم في الاحسان مقصراً . وكان ترفع اليه الرقاع (العرائض) فلا يذبح في قرايتها والترقيع فيها بيده بان يعطى بعض المساكين ورقاً (فضة) يعطى الآخر كسوة والآخر دعاماً والآخر شراباً وغير هذه اشياء اخرى وقد رأيت انا المصنف لهذا القول قسماً قد رفع اليه قطعة فادخله اليه وسأله . وقال له : كم لك من البيال فاجابه قائلاً كذا وكذا فقال ليدفع اليه كذا وكذا برأ وكذا وكذا زيتاً وكذا وكذا خمرًا . بقدر ما يكفيه السنة فلنأمر اوماً ذلك القس للخروج قال له : عد الى ههنا ومن اين لك يا بانس اجرة الطحين او شي . من الأدم ليدفع اليه من هذا ايضاً ما يكفيه . ولم يتركه القديس ينصرف حتى قام له بجميع ما يقتمه لسنته كلها .

وكان اذا رُفعت اليه ايضاً قصة من محبوس او مطالب بنظام ان كان

يمكنه ان يخلصه يسير من عطاياه . ما كان يزخر العطاء عنه ولا خلاصه .
يُطالب به وان كان هناك صعوبة شديدة ما كان يضجع في الركوب والمروء
الى من يطالبه وسؤاله الصفع له عما يرام ان يقرمه .

ولما كان رأسه وفروته والمتقدم بالمثل له المسيح وكان حريصاً
على التشبه به لم يقتنع باشبائه أوفاً من خبزات قليلة بل اضاف الى ذلك مكافأة
اخرى بيديه الظاهرتين ففعل ارجل تلاميذه . وأجبت انا الذي هو تلميذه ايضاً
ألا اكتفي بما شرحناه ، تقدم ذكره بل أضيف الى ذلك شيئاً آخر لاخوت
المسربين الى معمله وذلك انه كان في ذلك الحين بانطاكية مجاعة شديدة لم
يكن يمكن ان تمر كافة الناس . ولذلك جمع خريطوفوروس جمعاً من
الذين نكأهم الجوع من شيوخ ومرضى وقوس وشمامة وصبيان وايتام رثيبم
في مكاتب . وكان يجلسهم على الموائد ويكون هو قباناً لا يقنع بان يوفر
عليهم الطعام بل كان يقدم لهم احياناً بيده ويسقي الشراب واحداً بعد واحد
ويبين بذلك انه عبد للمسيح امين مثبته به تشبهاً لا يمكن غيره ان يساويه
فيه . واذا كنت انا ذكرت ههنا صبيّة وايتاماً فيلزمني ان اذكر من كان
هؤلاً . الصبيان ليبن للسامع لا كبر نفسه في محبة للضعيف بل فضل عقله ولطف
سياسة في ما يجع به العام من المنفعة . وذلك انه لما رأى ضيق الوقت وصعوبته
وكانت كنيسة الله مختلة وليس لأكثر الناس علم ولا فكر ولا همة ففكر هو
في امر كبير بان فيه خير سياسته واختار اثني عشر صبياً اذكيا . نجبا . وسلمهم
الى مؤدب بصير بعلم الكنيسة التي تريد على غيرها . ثم اقتدع من الفقراء على
قوم غيرهم وافرد ايتاماً شبه حالهم عددهم مائة وخمسين صبياً وسلمهم الى معلمين
ليعلموا كل واحد ما ينفذ فيه . وتقدم بان يُطبخ في كل يوم ثلاثة مواجل كبار
فيها ملؤها من الطعام ويحمل كل مواجل منها الى كل واحد من المكاتب .
ويعطى كل واحد من الصبيان ما يكفيه مع ما يحتاج اليه من الخبز . ويجب
ان يُعرف ما اجتمع ههنا من المنافع وهي ثلاث كبار : احداها اهداء . طعام
لا يتعب فيه من يأكله . والثانية تعلم لا يزخذ الثراب والاجرة عليه . والثالثة
خدمة للديعة الشريفة . فهذه جملة من افعاله في هذا المعنى .

وانضاف الى ذلك ما هو اكثر في مونة الفقراء . وإدعام الدين وذلك ان

الهاجريين يستخرجون من النصارى في بلادهم جزيرة نسيها نحن جزيرة الرووس
ويسونها هم براءة لانها تبرى الذي يؤديها من الاذية والتبع . وليس لاحد
من النصارى المقيمين هناك بد من تأديتها لان من لا يؤديها يُقاد بغير اختياره
الى دين الاسلام . فبعض النصارى يزودون البراءة بنية صادقة اذا كان يمكنهم
ويتحدرون ذلك برأ ومعرفة لانه شيء يؤدونه عن دينهم . وقوم آخرون
بُضطهدون لانهم ممسرون . فالاقوى منهم في الدين ليس هو الذي يتأخر عن
الاداء . عند امكانه بل الذي يعين الضيف في ما يُستأدى منه . فلما رأى
خريستوفرورس المشتل في صدره على المسيح هذه الشدة من هذا الباب لم يكف
عن العطفة ولا كان يقتنع بزيادة يزيدهما في تأدية براءة بل كان يضيف الى
ذلك تأدية جملة البراءة من عنده . ولما كان لم يتيسر له وفر يقوم به في هذا
الباب بحسب اعتقاده لانه لم يكن له غزارة ارتفاع اتبسط على سوان الامير
سيف الدولة معاوته على محبة الساكين . فلم يخالفه في ذلك لانه كان بالطبع
كثيراً وكان يمه الى البطريك خاصة ميلاً شديداً فتقدم الى مستخرجي البراءة
بان يصفحوا له منها في كل سنة عن عشرة آلاف درهم يكتب بها الرقاع اليهم
لمن يريد ان يوفده . فكان يكتب لواحده بالصفح عن كل براءته . ويكتب
لغيره بالصفح عن بعض ما يُراد منه . فما تقدم احد من النصارى على عيده الى
دين الاسلام . وحصل للبطريك من هذا مع الثواب من الله قبول شديد من
الامير سيف الدولة .

ولما تحرك نلى سيف الدولة خاف شديد وعصيان ثبت مدة طويلة من الزمان
انفرد عنه البطريك وحده ولم يدخل في جملة من عصى عليه من الانطاكين ولا
رضي ان يخاطب واحداً من المترددين . وكان السبب في هذا العصيان ان
الملك نيكيفور المقبوط (Nicéphore Phocas) لما ملك اكثر الثغر عنوة خرب
طرسوس وحدها لان الجوع كان قد نيك اهلها . وكان سيف الدولة في الحال
يُيافارقين قد فُلج وقدم اهل طرسوس الى انطاكية بناسهم واولادهم فحذر
من كان بانطاكية من الهاجريين على نفوسهم وصاروا الى ابن الزيات المقدم
كان عليهم يسألونه ويتضرعون اليه في مقامه عندهم لتدبير امورهم اذ كانت
قد تشمت وضفت وكان يجزع من تقفور الملك فتشع من المقام بالكلية .

وانهزم اصحابه الى انطاكية فلما حصلوا بها تيقظوا وخافوا وجعلوا دزير الديلمي اميراً عليهم وابن الاهوازي مديراً له وثبتوا على ما كانوا عليه من الصيانية .
 فقصدهم قرعونه انطاكية وجرت بينهم وقعة وانهزم قرعويه وعاد الى حلب وسار دزير الديلمي في اثره الى حلب ولقيه اصحاب قرعويه وحاربوه ودفعوه فرجع الى انطاكية .

فلما رأى البطريق هذا الاضطراب بانطاكية وانه مُرْتَدٌّ بزيادة في الصعوبة، كان من تدبير عقله الثبات على مكان سيف الدولة فلجأ الى دير القديس مار سمعان الخلي لان سيف الدولة وان كان يومئذ قد نُجِّلج ما كان ضاع عقله بالكلية ولا انضبط لسانه عن النطق ففي مدة مقام البطريق والذين معه في الدير اشتد ذلك على العاصي ابن الاهوازي وقصد اسباب البطريق واعتقال خواجه والتضييق عليهم وختم على سائر ما كان في القلعة لما انكشف له ميل البطريق ومن معه الى سيف الدولة . وكان يقول بصوت عالٍ : اذا لم يأت البطريق ويتلاف امره والا اخرج معه الى زيادة في ما بغته . فهل جزع البطريق لذلك او هلع منه ؟ لا . ولكنه ثبت على جمته وراه على مثل هذا بعض خواجه وهو تادولس الذي صار بعد قتله اسقناً على سلوكية وبني بانطاكية هيكليين حنينين الازكـمـرطوس^{١١} ورغم الذهب فيجسر عليه وقال له : هل في نيتك ايا السيد ان تقول بعد هذا في بيعتك انا الراعي الصالح وتترك غنمك لتختطفها الذئاب (هنا نقص في نسخة الاصل لم يعين مقداره) .

وبعد مدة يسيرة لم يحبر غلمن سيف الدولة على العار بل حوكره على المسير وانهضوه فسار من ميفارقين الى نواحي ممره محشرين وانتخب الحرب فيما بين الفنتين فكان الظفر لسيف الدولة وأسر دزير وابن الاهوازي وجماعة كثيرة من عسكرها وجملةم في القيود والسلاسل وحملهم الى حلب وقتلهم وولى على انطاكية تقي (الدين) غلامه .

وقصد خريسطوفررس البطريق عند ذلك سيف الدولة في حلب مسروراً .
 قبله سيف الدولة احسن قبول ودار حيثذ امامه في كل الاشياء جلياً متقدماً

(١) لم تسكن من تحقيق هذه الكلمة وتفسيرها ولا ندرى اين كان هذا الميكل في انطاكية .

وشفيماً مقبولاً. وانتقل من حال التابع الضعيف الى حال الصديق الاثير لا يُتهم ولا يُتصنر لانه قدم في وقت الشدة الامانة والمحافظة والصبر على المضى . فكوفى على ما اذاه في وقت الضراء . بلاختصاص والتقديم في وقت السراء . وشكره على فعله من بعده عن المخالفين عليه وقدمه وتخص به . فكان يرى الذين غمّره يعاقبون بالضرب والامتحان وانواع من العذاب يصعب الصبر عليها فما كان يحسن وقوع ذلك منه ولا كان يتعظم لظفره بالوقت بسل كان يحزن ويضيق صدره ويتعلق ففكره ويقول ارحم ايها السيد وخفف عن ظفرت به من اجل من اعانك عليه . ولما رأى في جملة من كان يعاقب جاراً من المسلمين بمدينة انطاكية وقد اسرف عليه بضرب الشياط لم يصبر على الجلوس لكنه قام قائماً ثم طرح نفسه الى الارض وسأله ان يهب له جرمه فلم يُنزع مما طلبه فلما اُطلق وُسمح له بما كان أرجب عليه عاد بريئاً من التبعة وليت ذلك لم يكن حتى ان كثيرين من شيوخ انطاكية تقم عليهم سيف الدولة عصيانهم وصادروهم فتشفع البطريك اليه في بعضهم وتوسط امرهم معه فأجاب مألته فيهم فتأكد في نفوسهم حينئذ مما شاهدوا من تمكن حاله عند سيف الدولة حد له وحقد عليه .

واقام البطريك بعد ذلك مدة يديرة بجلب وسار الى مدينته ربه توقيان من سيف الدولة الى اصحابه الذين كان انقذهم الى انطاكية رسم لهم فيها الايتنوعوا للبطريك ببراءة جماعة من اصحابه من كل تبعة بل يقبلوا سؤاله في سائر من يتوسط امره بتقدير ما يمكن القبول منه . فلما وصل الى انطاكية وجد فيها اميراً يعرف بتقي الدين الذي ذكرناه ووجد الطريقت كليباً هوناً يقبض قبضاً كلياً على كل شيء من النعم ويصادر اصحابها بحسب ما تصل ايديهم اليه . فلما رأى البطريك اهل انطاكية يُكذون في هذه المطالبات من عندهم لم ينتذه ويخلصه من اكثر ما يطالب به ومن لم يخفف عنه ومن لم يخلصه بالكافية ؟ وكان بانطاكية رجل من شبانها شديد الفنى والثروة لانه كان ذا

(١) كان كليب كاتب رقتاش التركي غلام سيف الدولة وكان حصن برزويه يد رقتاش فسلنه كليب للروم « قصيره ملك الروم بطريقاً وكان له ولدان فجعل لهما ايضاً مرات وصبره ايضاً باليقا على انطاكية واقطعه نعمة كبيرة » (ذيل يحيى بن سعيد ١٤٥-١٤٦).

ارتفاعات كثيرة ولكنه كان مضيقاً على نفسه وكان منحنياً لا يرفع رأسه من الارض من دأته وعظم شخصه وكان لا يفرج عن نفسه بشي . من ماله فاخذه اصحاب سيف الدولة وكانوا يماقبرنه ويظالبونه بثلاثة قناطير ونصف من الذهب فراسل البطريك القديس وهو في وسط العقوبات وقال له ارحم ايها السيد مثلي انا الشقي فركب لوقته وساعته ورفع عنه العذاب وتوسط امره في ما كان يُطالب به الى ان حط الجلّة الكثيرة من خمسة وعشرين الف دينار الى الشر منها وهو مقدار الفين وخمسة مائة دينار فقال المستخرجون له لن يقوم ولا بهذا المقدار بغير عقوبة وضرب . فقال لهم تلميذ المسيح المتشبه به في كل حال انا اسألكم الا تسرفوا عليه بعد هذا بمقربة بل سلوه الي وانما اكون التيم لكم بالجلّة ثم تسلمه البطريك وكان المستخرجون يظالبون البطريك بالجلّة ويلزم البطريك ان يكون مطالباً له بها . فكانت المراسلة من البطريك اليه في هذا الباب في قلبه كمثل الطمّنات لان سهام الحد كانت تصل فيه فصار في ما بعد مطابقاً على قتل من احسن اليه .

وكان قتل البطريك مثل شهادته التي تمت من هذا وغيره فكان يُنظم في الخفية ويُررّخ قليلاً قليلاً لانه اجتمع عليه من ميل سيف الدولة اليه مادة في قلوب المسلمين من الحد . ولكن لم يكن كلهم متطابقين على قتله بل الذين تطابقوا على ذلك اذ كانوا ممن زاد في الاحسان اليهم وذلك ان الحد تبين فعله فيهم .

وكان بيانه ذلك ان سيف الدولة توفي وتقدم من بلد خراسان اقوام قاصدين غزرو الروم وساروا الى انطاكية ولقيهم اهلها اجمل لقابا فضخي ابن مازك ذلك الملعون الذي اخذه البطريك اليه وكان سم الحد يعمل فيه ان لا يتسكن من البطريك فيما بعد فلما وصل صاحب الخراسانية وخاف ان لا يتسكن منه فيقوته قتله استدعى اثنين من شيوخ انطاكية وامانلها الذين كان البطريك توسط امرهم وشفع فيهم الواحد ابن محمود والآخر كان جاراً لهم يدعى بابت دقامة فقال لهما ما تقولان هل عندكم من الراي ان تقروا الكافر يعيش . فيصل الى ههنا بعد وقت رئيس ويكون هو جالساً ونكون نحن متطابقين كمثل ما كنا في وقت سيف الدولة . فقالوا له انه ليس من الصواب قتال لهما فآرايكما

في كتابة فتوى في بابہ الى الفقيه فحمدوا رأيہ وكتبوا رقعة برأى مشترك تسنى عندهم فتوى . ولم يذكروا البطريوك باسمه بل قالوا ما رأيك ايها الفقيه في ما يوجبہ الحكم على من يدبر على حصن من حصون المسلمين فاجابهم انه يجب عليه القتل فقال المتقدم في الرأي والتدبير هذه الفتوى سيانا ان تريها للعامة فهم يقتلونہ للوقت من نفوسهم . ولم يكن هذا رأيہ بالحقيقة لانه كان هو ايضا من الفرس عارفاً باسباب الخراسانية . ففكر في نفسه ان يستدعي قوماً من الخراسانية ويريهم الفتوى لكي يقتلوا البطريوك ولا يحتجوا في ذلك وكان هذا ما اتفقهم وحداهم على ما ارادوا .

وكان للبطريوك جار من وجوه المسلمين يعرف بابن ابي عدو وكان له صديقاً صادقاً مناصحاً فاسرع اليه وقال له ماذا تصل قم مسرعاً وخذ نفسك والا فاعلم انك مقتول بمد قليل فقال له لم ولأي شيء . ومن اجل ماذا فقال له لأنه قد اجتمع عليك جمع خبيث واخرجوا فتيا ذكروا فيها وجوب القتل عليك . فاستلم منه وقال له ماذا يجب عندك ان اصنعه فقال له انك لست في هذا الوقت في اعتقال فاخرج من باب المدينة آخر النهار فلا يصبح عليك الصبح الا وانت في نواحي حلب ولن يتبعك احد فهذا الذي عندي لك . فقال له اما انت يا سيدي فانه يجازيك بالحسنات ولما انا فسبلي ان افكر في ما اعمله . وانصرف الرجل واستدعى البطريوك ذلك الرجل الذي قال له فيما قبل وهو في دير القديس مار سمان : لم لا تجب الى المنصر الى انطاكية في وقت العحيان . وهل نزلت ايها السيد بمن يقول بعد هذا انا الراعي الصالح . فلما مثل هذا الرجل بين يديه قال له اعلم ان جارنا فلاناً صار الي في هذه الساعة واثار علي بكيت وكيت فاذا ترى . فقال له ما اجود هذا يا سيدنا فاستخبر الله وافعل فقال له : ان انا فعلت هذا كنت انت ايها الوقاح بمن يهزأ بي فيما بعد . وبعد هذا انت عتيد ان تقول انا الراعي الصالح في غد . فاجاب به ذلك الرجل قائلاً ايها السيد ذلك كان سبباً آخر فقال له البطريوك نعم ليس بالحافي عني ان ذلك كان سبباً آخر بل لانه كان كذلك ولم يكن موافقاً في ذلك الوقت ما فعلته ولما لم اتمه علمت انت انه لم يتضرر بذلك احد من النصارى . لانه لم يكن قتلي المطلوب في ذلك الوقت والآن فالمطلوب هو قتلي وليس يطلب ذلك طلباً

مطلقاً بل بجرص شديد واجتهاد وكيد لان الذين يطلبون قسلي حاد رسم الحسد في اجسادهم مكنون . ومتى ما افلت من يديهم ولم يقذفوا سمهم في لم يُبقوا بعدها على نصراني ولا على كنيسته . ولكن هذا الوقت هو الوقت الذي يجب ان اقول فيه يا هذا ليس انا الراعي الصالح فقط بل اقول مع ذلك والراعي الصالح هو الذي يضع نفسه دون اغنامه . وانيت فسدى بعد وقت هذه اللحية مخضوبة بدمائي ومد يده مع هذا اليها .

وفكر فيما بعد ان يجتمع بذلك الشرير المتبهي للعمل عليه . وكان عالماً علماً يقيناً انه قد مزج له قهوة الموت فارسل اليه بعد قليل بنير حذر منه ولا خوف اني اريد ايها السيد ان اجتمع بك فتأذن لي بذلك اذا رأيت موقفاً وكنت خالياً ان اصير اليك ؟ فلما سمع ابن مانك ذلك استفرص هذا القول منه وتصوره غيبة فقال له لست في هذا الوقت متفرغاً لك فاذا تفرغت ارسل فاعلمك . ولم يزل طول نهاره في التدبير ولم يرسله بشي . لشغله بالحيلة عليه .

فلما ادرك الليل وتصرم وقت كبير منه وتناول البطريوك ما جرت عادته ان يتناوله من الطعام ارسل اليه ذلك الملعون قائلاً اني الآن فارغ لك في هذا الوقت ايها البطريوك فان رأيت ان تحضر فاحضر . فذهل خروف المسيح من هذه الرسالة في غير وقتها عند سماعه لها . وقال لاصحابه ماذا نسيئنا يا قوم ان تصنع وقد حضرنا امران غير موافقين لان المضي في هذا الوقت من الليل لا يليق ولا يصلاح وذلك ان الطعام بعد في في والقوة ضعفت عن الخطاب وانا على هذه الحال . ولكن سيبل واحد منكم ان يستنهيكني فان احس مني براحة خمر احتججنا وقتنا ان ذلك لا يمكننا في هذا الوقت وان كانت نكهتي نقيه مضيئاً على كل حال . فلما استنهيكهم ولم يكن هناك راحة سار على قدسيه كحل سائر باختياره للذبيح . فلقبه ذلك الملعون وسلم عليه سلام مودة والنش في قلبه مكنون . ولما جلسا جميعاً كان مملوءاً حقدًا وغيظاً عليه فلم يصبر ان يبتدئه البطريوك بكلام بل قال له يا بطريوك ما بالك واننت واحد من اهل هذا البلد ماكن لنا ورأيك رأي سوء في معاملتنا لانك تعمل علينا . فقال له البطريوك وكيف ذلك يا سيدي ومن اي معنى فقال له جياً لانك تكاتب ملك الروم وتنتهضهم الى قصدنا وتطعمهم فينا وتكاتب

غلام ابن حمدان ايضاً فقال له وما الدليل على ذلك يا سيدي ومن هو الذي وجد لي كتاباً بهذه الصورة فهض ابن مانك كأنه يطلب كتاباً وقام قائماً وتكلم بالفارسية واستدعى من كان قد اعدّهم للقتل من الحراسانية وهو مع ذلك يعان ويبرعد لانه لم يكن جباناً فقط بل كانت صورته في الرجال صورة الحشاش^١ قنباً وعيناً لان قامته كانت تكاد ألا تزيد على اليسير الا بتقدير يسير فكان منظره يشبه خشافاً في اللون والملاحظ والبشر. فلما حضر من استدعاهم من القوم المحدثين قال لهم عند ذلك بلسانهم واسنانه ترجف: هذا هو المطلوب هذا هو الذي يريد ان يسلم هذه المدينة هذا هو عدو المسلمين. قد خروف المسيح عنقه وهو جالس بغير ارتعاج منتظراً اخذ رأسه ولم يكن مع اولئك مشرفية بل خنجر طوال فاقامه واحد منهم قائماً وضربه الآخر بنخجر طويل جاز كل الحديد في بطنه. ولما سقط الشهيد الى الارض قُطع رأسه ناحية وطرح في آتون الحام في جوار دار ابن مانك وأُخرجت جسده الطاهرة في الوقت من باب المدينة بالليل وطرح في النهر^٢ ولم يُسثر ذلك عن كافة النصارى بل لما سقط راعيهم ذهلوا واختبطوا بما دهمهم من ذلك وجزعوا جزعاً شديداً وتفرقوا في بيوت قوم من المسلمين استتروا فيها. لكنهم لم يطأوا من احد لانه كان من الواجب ان يتم مقال ايهم الذي تقدم فقاله انهم اذا اشتقوا مني بقتلي وقذفوا الدم الذي كثروه في قلوبهم علي ان يطأوا سواي.

واما ذلك الحيوان الضاري الصورة الزائد في الوحشية فلم يزل ممسكاً الى وقت من الليل لان روعه ما كان بعد قد رجع اليه فلما تمادى به الوقت الى السحر عاد الى ذاته ووجه اشراطه قبل الصبح الى البيبة التي هي كنيمة ألقسيان وقلابة البطريك. فلم يجدوا فيها غير ماكرول مثل تين وزبيب وزيت قد احتفظ به لمؤونة الكنيمة وقوت الاخرة بالمسيح ولم يكن هناك ذهب ولا فضة مخزونة. وكيف كان مخزون شي. والنقمة كانت تسبى ما يدخل ولا

(١) الحشاش يتقدم الشين هو الحشاش اي الرطواط

(٢) من هذا النص الصريح يتضح غلط ثلومبرجر حين روى ان قائل خريستوفوروس

هو امير مسلم طنه برمه لظنه خيابة وميله الى الروم G. Schlumberger : Épopée

Byzantine - tome 1er p. 25, édit. 1925

كان هناك ايضاً ملبوس وليس لمن كان مله الصوف غير اسكيم رهبانية كان عليه . بل كان هناك اشياء يسيرة نفيسة للكهنوت كانت معدة لمن كان قبله على طول الزمان . فاخذوا جميعها وفتحوا خزانة البيعة ولما لم يجدوا فيها شيئاً أخذوا الخازن الى ان اظهر لهم المستور كله من اواني البيعة الذهب والفضة مع السلف الديباج : ما كان يُحفظ به لزينة الكنيسة ولم يتركوا شيئاً غير نحاس ومصاحف لم تكن كثيرة . واخذوا ايضاً اليهم كرسي مار بطرس السليح وهو من خشب النخل صُنع بفضة وحفظه في دار شيخ من شيوخهم يعرف بابن عامر ولم يزل في داره الى ان ملك الروم المدينة . فن هذه الجملة ما جبا به الملعون من تولى سفك الدم الزكي بحسب ما كان واقفهم عليه ومن ذلك ما تمك به للملاطفة من كان ينتظره من النرس القادمين لقصده جهاد الروم .

وفيا بين ذلك قدم القوم وتباهم الانطاكيون جميعاً قبولاً بياً . وكان ذلك الكافر اللعين محتصاً بهم لا من اجل ما حمله اليهم فقط بل لانه كان مشاركهم في قبيلتهم ولسانهم واخذوا في الفارات على اطراف بلاد الروم واجتياحها . وكان اذ ذاك تقفد الملك المعبود متشاغلاً يقصد البامر فلما بلغه ذلك انفذ بطرس الاضطرابودرخ فكانت له وقعة مع الحراسانية بناحية الاسكندرية الصغرى وهي التي بين المصيصة وانطاكية لما عادوا من غزاتهم فأوقع بهم وقتل صناديدهم واسر سائر العسكر وجماعة منهم . وكان مع الحراسانيين جماعة من المسلمين الطرسوسيين فاشاروا عليهم بالآ يلتقوا القتال ولا يصابروا في الحروب وقالوا ان هذا الجيش الذي يقا تلکم عسكر ماكي وليس لكم بهم طاقة فلم يقبل منهم الفرس بل صابروا الى ان قتل ابطالهم واكثر وجالهم ثم أسر رؤسائهم . ومن رؤساء الحراسانيين المأوردين في ذلك الوقت سائر العسكر فاشتراه الانطاكيون بال جسيم وثياب كثيرة وبلاساى الذين كانوا اسرهم متقدماً بهم الروم وكانوا في حبس انطاكية . ولما تحلص السلاى ووصل الى انطاكية تلقاه اهله بالاكرام والتعظيم واحتفلوا بلقاه كل الاحتفال ولكن بحسب ما دخل في ذلك الوقت مكرماً كان فعله بهم بالعكس لان رجال

الذين سلموا من القتل كانوا أعراة أشفاء وعاد هر ايضاً مثلهم فكانت الضرورة تدعوهم الى خفاف ما يقوم بهم فتسلطوا على الانطاكيين وصاروا يتخطفون اموالهم ورحلاتهم . فلم يصبر لهم الانطاكيون على ذلك بل دافعوا عنهم واستوحشوا منهم وانشب الحرب فيما بينهم واخرجوهم من المدينة عراة .

وكان الانطاكيون الذين تولوا قتالهم حينئذ عصابتين . عمل رئيس الفريت الواحد على رئيس الفريت الآخر قتله . وذلك انه كان قد ورد من مصر الى انطاكية رجل اسود بمن افات من صعايلك طرسوس يعرف بالريغي ومعه نفر يير لينزو بهم اطراف الروم فهذا كان رأس العصابة الواحدة . وكان رأس العصابة الاخرى كرحياً من اهل بوقا يدعى عاوش وكانت المدينة اذ ذاك في يده . فدخل الريغي يسلم عليه ولما انكب لتقيل يده كان سيف عاوش مارضاً على ركبته فاخرطه الريغي وضربه به للحال قتله . ففرق رجال المقتول وكانوا كثيرين وصار الامهر الى القاتل وكان رجاله قليلين واستولى الريغي على انطاكية . لكنه ما قامت ولايته بعد ذلك ولا ظالت مدته لانه بعد مدة يسيرة قدم بطرس الاصطراطوبدرخ ومعه عسكر ضخم من عسكر تقفور الملك الممدوح وتول على انطاكية فواجتمع اليه ميخائيل البرجي المقيم بحصن بنراس واقاموا محاصرون المدينة العظمى التي ما كانت ترام وهي اذ ذاك ضيقة : ما تقدم من القارات على اعمالها وضجع اهلها في حفنها وحراستها لانهم ما كانوا يشعرون انها تقصد في ذلك الوقت ولم يتمكنوا من جمع رجال يصمدون الى الجبل ليحفظوا السور ورآه الروم خالياً فبادروا بالبلوع اليه فلم يروا احداً فيه وتمكنوا من الصعد اليه وملكوا المدينة يوم الخميس ثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة^(١) . وطرح المسلمون النار لتحول بينهم وبين الروم وفتحوا باب البحر وخرج منه جماعة من اهلها وامر الروم جميع من كان فيها ولم يفلت منهم احد الا ذلك الماعون الذي كان رأس البلية ابن مانك . وكان قد خرج من المدينة ليلاً طالباً ان ينجو الى بلد من بلدان الاسلام وتخفي في الاول امره فكان مسروداً بذلك لا من اجل خلاصه

من الأسر وحده فقط بل لتسكنه على ظنه من الحيلة والتدريس والكذب على الله والملائكة بانهم حملوه في الهواء، وخصوه وكالت حوت عادته قديماً بمثل ذلك وكان يدفن الحية في المنقوعة والكذب على رب العالمين . ولكن اتقنا العدل ههنا سبقه وقدم له في الطريق باقولة اي عصبة من السريان في الجبل الاقارع بمن كانوا يغيرون على انطاكية فقبضوا عليه وجازا به الى الاضطراطوبدرخ فسله الى من يحاط عليه الى ان ينظر ماذا يجب ان يفعل في بابه . وانعم على اهل الباقولة بنعم جسيمة . واثار بعض الرؤساء . بجمل ذلك الملعون ابن مانك الى الملك وخالفهم غيرهم وقالوا من هو هذا حتى يؤهل للحمل الى حضرة الملك بل من اوجب الاشياء قتله انتصافاً لذلك الدم الزكي الذي سفكه . فاجابهم الآخرون الذين كانوا اشاروا بحمله وقالوا ما الصواب ان يتدنس ذلك الدم الطاهر بهذا الدم النجس . فقال في الآخر افسطانيوس البطريق اضطر اتيغوس الكبادوك المعروف بالملايني هل البطريرك ههنا حاضر بأمرنا بقته حتى نتدنس نحن بدمه كما تقولون . اما ذلك فانسان قد قضى ما يجب عليه ومضى وحصل بحيث ينتظر من الله المكافاة الجميلة . واما نحن فان كنا نصارى فيجب علينا ان نتنصف له من الظلم الجاري عليه ولما قال لهم مثل هذا القول اتقنهم وانفذ المحكوم عليه الى جسر باب البحر الذي كان هو طرح منه الجثة الكريمة الى النهر وقطع قطعة بالسيوف ولم تطرح القطع في النهر ولا أهل لذلك بل رُمي بكل واحدة منها حسبما اتفق على الخفيض وحصنت طعماً للطير وللكلاب . واما ابن محمود وابن دغامة اللذان كانا شاركاه في امرات الدم الزكي فانها كانا أنفذا الى حبس طرسوس وبقيتا فيه مدة طويلة ولم يطلبنا في ذلك الوقت . ثم اتفق ان نقفور الملك من قبل معرفته خبر انطاكية على حقيقته قتل وحصل الملك ايبي الشمشيتي^(٢) . فبادر بانفاذ ناردورس الرابع^(٣) من اهل قلوبية وجعله بطريركاً على مدينة انطاكية . فسأل عن خبر الشهيد

Jean Tzimisès (١

(٢) كان قبلاً رئيس دير انطوني في الارمينيا كس (التيبكيون الصينير ليكن الثاني)
 صبر بطريركاً على انطاكية يوم الاحد ثالث وعشرين من كانون الثاني سنة الف ومائتين
 وواحد ومائتين للاسكندر (٩٧٠ م) (ذيل يحيى بن سيد الانطاكي طبعة بيروت من ١٢٨)

وطلب بقية جسده الطاهر وذلك ان جثة الكرمة كانت قد ظهرت بعد ثمانية ايام من شهادته التي كانت ليلة اليوم الثالث والعشرين^(١) من شهر ايار سنة ست وخمسين وثلثمائة للهجرة^(٢) وكان ظهورها في جزيرة من النهر قد تماقت بطرأش هناك ولم يكن الرأس الكريم معها لانه قيل ان ذلك الكافر احرقه. فخرج قوم من نصارى انطاكية ودفنوها في الدير المقدس المعروف بارشايان. فلما عرف ذلك ثاددروس البطريرك لم يتبصر ولا تتأكل عن النفوذ الى هناك بل صار الى الدير المقدس وحمل جثة القديس ومعه الاكليروس الطاهر وخرج من المؤمنين وصاروا قدامها الى المدينة بليتين وحفل عظيم . وجعلوها في جرن لطيف من الرخام وضروه على مائدة من رخام في مغارب الكنيسة الكبرى . الا ان القديس نقولادس البطريرك^(٣) بعد برهة من السنين نقله من هناك باكرام ايضاً وجعله في جوف بيت القديس مار بطرس رأس الرسل مع شبقوته^(٤) وكرسيه وحيرل^(٥) عدة ولباسات للآباء. البطاركة واغناطيوس البطريرك ايضاً واشيا. اخرى من حيول مار يوحنا المعمدان والحرية الكريمة السيدة وشبوقه خريصوطوس ومنطقة مار سمعان الحلبي المودي وغير ذلك مما هو في خزانة القديس مار بطرس الى هذه الناية .

ولم يسكت القضا. العالي كثيراً فيما بعد عن كان شريكاً في القتل . فالواحد من الاثنين وهو ابن محمود كان في سجن طرسوس في كل شتاء. وضرر وألم يقين جسم يعاقب باعماله الى ان هلكت نفسه الشقية المقابلة لاجس بالقيح . واما الآخر وهو ابن دغامة فبقي محبوساً الى ان قدم الى انطاكية ميخائيل البرجي^(٦) .

(١) في خزانة باريس سنكار عربي رقم ٢٥٤ ورد فيه ان تذكار خريصوفورس بطريرك انطاكية الذي استشهد في ايام المسلمين كان في اليوم الحادي والعشرين من ايار (ص ٢١٥) والصحيح ما جاء اعلاه .

(٢) سنة ٩٦٧ للهيلاد .

(٣) كان قبلارئيس دير الانطوديون في النسطورية وُصلي عليه فيها يوم الاحد سابع شهر كانون الآخر سنة الف وثلثمائة للاسكندر (٩٨٩ للهيلاد) .

(٤) الشبوقه لفظه مريانية يراد بها الكلازة

(٥) الحبول جمع حبل وهو الدهن السائل من بعض الايقومات .

(٦) Le patrice Michel Bourtzès

البطريق كان في ذلك الوقت فانفذ من احضره وثقله بججارة وطرحه في البحر . وحصل الثلاثة وهم ابن مانك وابن محمود وابن دغامة الذين تولوا قتل القديس ومكافاته بصد افعاله في الآخرة ينتظرون العقوبة الدائمة . واما القديس فحصل في السموات المالية مساكناً للكهنة مخالطاً للصديقين واقفاً مع الرهبان الناسكين في صف الشهداء القديسين .

فيا من كان الى كل حنة سابقاً اقبل مني هذا القول وان كان قاصراً لكنه بحسب الطاعة وكما لم تستكف ان تسمى بتقديمك من اجلي حتى سلطتي الى ذلك المذهب الالهى الفاضل عماك عرفت اني اصير كما صرت في العلوم فاضلاً ولكنتي علمت على كل حال علماً وحاشا ان اقدر في بعض الاوقات ان اكتب خبرك اثلا ينسى في طول الزمان . فلذلك تحطفت علي في هذا الوقت واصبح عن قأخيري وأجيب المقال فيك الى هذه الغاية . ولا تحرميني عند وقوفك الآن في السموات امام المنبر العظيم بحسب ما كنت مشتتاً او بحسب ما كنت حرباً مجتهداً فينظر الي الرب وتشفع في وفي الذين تولوا على عنايتك في خلافتك في وفي اخوتي رضي الله عن الجميع . وبالغ في السوال والتضرع ان يغفر خطايائي ويوجب سمي في بقية عمري فاخاوص من الشدائد وانتقل الى ما يرضي الله الهى ويؤلف لديه .

ولك عدة من التباع والمساعدين الاولاد الذين اولدتهم بالمسيح وقدمتهم الى الطريق المؤدية الى ما يرضي الله وقد كانوا اغصاناً مقدسة وازهاراً روحانية ومقدمات من لدن النفس الالهى مقبولة .

فمنهم انا جرجي الكبير نصبتك وغرستك الذي لقي الملك نقفور القديس ورأس على دير مار سمعان المردى الحاي .

ومنهم انا يوحنا العجيب الذي اهل لان صار كاثوليكاً على بلد المشرق .

ومنهم انا خاريطن الثاني المجتهد الارشيسندريتس رئيس دير سابا .

ومنهم سمعان العجايبى البحرى الذى في جبل اللكام العجيب .

ومنهم انا يعيش الحليس الذى جاهد بانواع من عمود الحليس وصبر على ضيق المحابس الكثيرة ولم ينتقل عن طريقة واحدة وكان حياً بنا مخلصاً بل بالمسيح في دير القديس اغريغوريوس التاولوغس بيشاس .

ومنهم انبا ارميا رفيقه العجيب رئيس دير الست السيدة والدة الاله المعروف
بالجراجمة الذي انشأه هو في جبل اللكام المقدس .
ومنهم الاب المقبوط افيكيكيروس ابن فرجوس .
ومنهم انبا غريغوريوس الكبير الفاضل رئيس دير السيدة والدة الاله
المعروف بدقتونا وكفانا اشتهاره بالفضائل وقد ذكرت لكل منهم خيراً مفرداً
على حدة كما استأهلوا ان يكونوا مذكورين وان كنت اختصرت فيه غاية
الاختصار وكفانا بهم من نصيبك مديحاً لهم وذكراً وشفاعتك وصلواتك
وصلواتهم اجمعين لتكن لنا مخلصه وحافضة الآن ودائماً الى اقصى آخر الدهور
كلها آمين .

(لها صلة)

